تاريخ الاستلام: 2023/12/25 تاريخ القبول: 2024/02/11

الأوسمة والأنواط العسكرية في جيش الأمير عبد القادر

Military medal and badges in the Emir Abd el Kader's Army

بدرالدّين شعبان/ جامعة قسنطينة 2

عبد الحميد مهري (الجزائر)

badrchab@yahoo.fr

ملخص:

هذه الدّراسة قراءة في تراث الأمير عبد القادر المادي والمعنوي، ورصد لأحد منجزاته المميزة في مجال العسكرية الجزائرية، بما تحمله من طابع ثقافي وحضاري، وللتنظيم والضبط العسكري الذّي أجراه على جيشه بغية تنظيمه وضبطه وفقا للأدبيات والتقاليد العسكرية المتعارف عليها في زمانه، وإرساءً لقواعد سلوكية جديدة قوامها الضبط والربط العسكري، والرفع من جاهزيته وروحه المعنوية، والعمل بروح الفريق بغية تكوين مجتمع عسكري حديث مواكب لتطورات عصره. ولأن الأمير أراد أن ينتقل بجيشه من المقاومة الشعبية إلى المقاومة المنظمة، فقد سن له القوانين وابتكر لذلك علامات الأوسمة والنّياشين تكفهم وتحضهم، بغرض تكوين اللّبنة الأولى في الأسرة العسكرية الجزائرية، ووصولا بهم إلى المجتمع العسكري المنتظم. وبهذه الابتكارات كان وسام عصره وأيقونة الأمة الجزائرية.

كلمات مفتاحية: نشان، الأوسمة والأنواط، الشيعة المحمّدية، الريشة العثمانية، الجيش المحمّدي، المرابطين والأجواد.

Abstract:

This study is a reading on the material and moral legacy of Emir Abd-el-Kader, and a monitoring of one of his most important and distinguished achievements in the field of the Algerian military. Because of its cultural and civilizational character, and the organization and military tuning that he conducted over his army in order to organize and strictness it in accordance with the military deontology and traditions recognized in his time. Establishing new behavioral rules based on military tuning and bind, raising its readiness and morale, and working in a team spirit in order to form a modern military society that keeps pace with the developments of its time. Because the Emir wanted to move his army from popular resistance to organized resistance, he enacted laws for them and created badges of medals and Nishans to stimulate and repressive them. While he aimed to make the first step in the Algerian military family project, and up with them at a regular military community. With these innovations, he was the medal of his time and the icon of the Algerian nation.

Keywords: Nişan, Medals and Badges, Chia' Moh'mmadia, Ottoman Richaa, the Mohammedan Army, the Marabouts and the Djouads.

المؤلف المرسل: ..... الإيميل: .....

مقدمة:

قال صون تسو في كتابه فن الحرب: تعد الحرب من أهم شؤون الولاية وأساس الحياة والموت وطريق البقاء والفناء، ومن الواجب التّفكير فيها وتحليلها مليا، كما ينبغي تنسيقها وفق العوامل الخمسة الآتية، وتقويمها بشكل نسبي من خلال التّقديرات والبحث عن طبيعتها الحقيقية. وأولى هذه العوامل يسمى الطّريقة، والثّاني يسمى السّماء، والثّالث الأرض، والرّابع القيادة، والخامس القوانين (للتنظيم والضّبط العسكري).

ولما علم الأمير ما بين الجنود المنتظمة والحشود المتطوعة من الفرق العظيم عزم على تنظيم جند كاف يكون دأبه التّمرين والتّدريب ليصل بقوته ومعرفته بالأمور الحربية إلى مقاصده الجسيمة، فقد استقر رأيه على أنه لا مناص من تحديث جيشه وضبطه وفق قواعد عصره إذا ما أراد أن يستمر في مقاومة الغزو الفرنسي، فعمل على عصرنته وضبطه بقوانين ونظم بغية تحويله من جيش شعبي من المتطوعين إلى جيش نظامي وفق أحسن التّقاليد العسكرية المعروفة في عصره.

لتحقيق ذلك عقد مجلسا عموميا من رجال الدّولة وأعيان الرّعية وزعمائها وخطب عليهم خطبة أوضح فيها فوائد العسكر النّظامي ومنافعه وأخبرهم أنه اعتزم على تنظيم عدد كاف منه فأجابه الجميع إلى ذلك ووافقوا عليه. ثم أرسل من ينادي في الأسواق بأعلى صوته: ليبلغ الشّاهد الغائب أنه صدر أمر مولانا ناصر الدّين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد فمن أراد الدّخول تحت اللّواء المحمّدي ويشمله عز النّظام فليسارع إلى دار الإمارة معسكر ليتقيد اسمه في الدّفاتر الأميرية.

ثم عمل الأمير على ترتيب جيشه وتنظيمه بنفسه حيث جعله ثلاث فرق: الأوّل الرّاكبون وسمّاهم **الخيالة**، والثّاني المشاة وسماهم **العسكر المحمّدي**، والثّالثّ أهل المدافع الصّواعقية وسماهم **الرّماة والطّبجية**. وسنَّ لهم القوانين والضّوابط جمعها كاتبه قدور بن رويلة في رسالة سماها: "**وشاح الكتايب (كذا) وزينة العسكر المحمّدي الغالب**".

وسيقتصر عملنا هذا على دراسة العلامات والأنواط، ومختلف الأوسمة الّتي ابتكرها الأمير لأجل تحفيز عناصر جنده النّظامي، وخلق روح المنافسة فيما بينهم وحثهم على تحقيق نتائج أفضل في نظام الجندية، بضبطهم وربطهم والاستفادة إلى أقصى الحدود من القدرات البدنية والفكرية لعناصره العسكرية كيفما كانت مراتبهم ومواقعهم، وهو ما يدفعنا إلى التّساؤل عن ماهية هذه العلامات والأنواط؟ وعن أشكالها وألوانها، والمواد الموظفة في صنعها؟ وعن الأعمال المميزة لاستحقاقها؟ وعن ماهية المضامين الّتي نقشت ورقشت عليها؟

إذا كان هناك هيئة ما تحمل معانٍ خاصة للأوسمة، فهي بلا منازع مؤسسة الجيش ذلك أن النّظم العسكرية تقوم على مبدأ التّحفيز كأسلوب ناجع لرفع الرّوح المعنوية وبعث روح المنافسة بين عناصر الجند كيفما كانت رتبهم ومناصبهم العسكرية، ويدفع هذا الأمر بالجندي إلى إبراز مكامن طاقته الفكرية والبدنية رغبة

منه في الحصول على التّكريم المعنوي بالحظوة والمكانة بين أقرانه وعند مسؤوله المباشر وصولا إلى أعلى قمّة في تنظيمه، وبحصوله على التّرقية إلى رتبة أعلى في نظم الجندية، والاستفادة من التّحفيز المادي إن وجد.

فالمكافآت في حدّ ذاتها تهدف إلى التّمييز بين أعمال الشّجاعة، والأعمال الذّكية المبتكرة، والإيماءات المتهورة، حتى ولو كان من الصّعب أحيانا تحديد نطاقها نوعيا وتحديد هوية أصحابها بشكل صحيح. وهي تعكس بين متقلديها القيم التّقليدية للجيش مثل الشّرف والاستحقاق، كما أنها تعد أسلوبا للقيادة يهدف إلى تشجيع الجنود للتفوق على وهنهم وإظهار بواطن شجاعتهم. ورمزيا اختزلت جل خصال النّبل والشّرف، والتّميز والمجد العسكري في الأوسمة المخصصة لمكافأة الأبطال والمغاوير من المحاربين البواسل.

يقول العميد اللّيبي صلاح الدّين أبوبكر الزيداني:"... **ما نراه على صدور العسكريين باختلاف رتبهم ومناصبهم من أوسمة و أنواط تعكس قيمة معنوية وأدبية ومهنية عالية لحاملها كما أنها من المظاهر الّتي تعطي للزي العسكري رونقا ليس فقط للزينة والتّجميل بألوانها وتصاميمها الجذابة بل هي دلائل فخروشرف كونها تختزل بين ألوانها خبرات متراكمة من العمل المهني، وتحكي قصة جهد وعرق وتدريب، وتميزوتفان في أداء الواجب، وقدوة حسنة للآخرين وخدمة طويلة، و انضباط وشجاعة، وبسالة في السّلم والحرب استحقت التّميزوالتّكريم**"[1].

ولمَّا تَمَّتْ البيعة للأمير واستقام له الأمر اتَّخذ الآلة ورتب الحاشية وعيَّن رجال الدّولة، وحَدَّدَ رسوم ملكه ومملكته وأبرم لذلك المعاهدات مع الدّول بعد التّواصل مع ملوكها [2]. وقد ورث وضعا اجتماعيا انقسم فيه النّبلاء إلى طبقتين متميزتين: المُرَابطينَ والأَجْوَادْ. فبينما كانت الطّبقة الأولى تَستمدُّ مكانتها من الدّين كانت الطّبقة الثّانية تستمدُّهَا من السّيفْ.

وكان هؤلاء المُمثِّلين للنُّفوذ المعنوي والقوة الطّبيعية ينظرون إلى بعضهم نظرة غيرة وازدراء مشترك، فالأجواد كانوا يتهمون المرابطين بالطّمُوحِ المُقَنَّعِ والجري وراء الثّروة والسّلطة متسترين وراء أن كُلَّ شيء يضيفونه كان لخدمة الدّين فقط. وكان المرابطون يَتَّهمون الأجواد بالعنف، والتّهور، والنّهب، خاصَّة وأَنَّهم كانوا يتقدمون للصيد في مظهر استعراضي مع حاشية كبيرة بِصُقورهم وكلابهم [3]، ولتغيير هذه الأوضاع عمل الأمير جاهدا لأجل إنشاء جيش عصري يقوم على نظم حديثة مجاراة لتطورات عصره.

جاء في مقدمة كتاب ضابط سلاح المدفعية الدّنماركية دينيزن (أ. ف) (A. W،Dinesen) : " أثناء إقامتي في شمال إفريقيا 1837 لاحظت باهتمام كبير كيف أخذت وطنية القبائل العربية، بعد غفوة استمرت عدة قرون، تستيقظ من جديد، وإني لأشعر فيما يتصل بهذا الموضوع بإعجاب كبير بشخصية الرّجل، الّذي استطاع أن يوقظ الحس الوطني في شعب ظل منذ قرون ينبذ نظام الحكم المقيد بقوانين تشريعية، حتى إن مفاهيم مثل الدّولة والوطن والحكومة بقيت غريبة عليه. وعبد القادر هو هذا الرّجل، الّذي أخذ على عاتقه بفضل خصائصه العظيمة والظّروف المناسبة أن يوحد بين أبناء وطنه في أمة، وأن يوجه أفكارهم السّياسية وجهة أخرى، ويضع

لهم بذرة السّعادة والرّفاهية والقوة من غير أن يقطع الصّلة بالأوضاع القديمة والتّقاليد السّابقة بطريقة عنيفة "[4].

ويمكننا تقسيم مرحلة إنشاء الأمير عبد القادر لجيشه النّظامي إلى مرحلتين متمايزتين: المرحلة الأولى هي الّتي أعقبت إبرام معاهدة دي ميشال 1834، وحتى عقد معاهد التّافنة 1837 مع الجنرال بيجو، وفيها أنشأ الأمير النّواة الأولى لجيشه النّظامي، وحدد لهم زيهم ومناصبهم. وتبدأ المرحلة الثّانية بعد عقد معادة التّافنة إلى غاية سنة 1843 حيث اكتمل الجيش المحمّدي شكلا ومضمونا من حيث العدة والضّبط والتّنظيم.

كما استقر زيه العسكري على شكل ولون محدد بحسب رتب عناصره في كلّ صنف من أصناف الجند، وسن لهم القوانين في رسالة استهل كاتبه ديباجتها كما يلي: "... **لما كان للجيش قوانين تخصه وعلامات تكفه وتحضه وكان من ولاه الله أمير عبيده وجعله الله نصرة لدينه مولانا أمير المؤمنين ناصر الملة والدّين سيدنا الحاج عبد القادر نصره الله عارفا بتلك الأمور واخترعها وأسسها بأتم تبيين و ابتدعها فجعل نصره الله لكلّ من عسكره المحمّدي وجيشه الأحمدي قانونا يخصه على حسب تفاوتهم في المراتب وسبقهم للمزايا والمناقب وأمر نصره الله بكتابتها ... وسميتها وشاح الكتايب وزينة الجيش المحمّدي الغالب** ..." [5].

2. علامات ونياشين العسكر المحمّدي

الوَسْمُ في اللّغة العربية أَثرُ الكَيّ، وَالْجَمْعُ وُسُومٌ؛ كما يعني العلامة، فالوِسَامُ: مَا كانت توُسَم بِهِ البعيرُ مِنْ ضُروبِ الصّوَر. والمِيسَمُ: المِكْواة، وَالْجَمْعُ مَوَاسِمُ ومَيَاسِمُ. قَالَ ابْنُ بَرِّيّ: المِيسَمُ اسْمٌ لِلْآلَةِ الّتي يُوسَم بِهَا، واسْمٌ لأَثَرِ الوَسْمِ أَيضاً [6]. وفي الحياة المهنية يُطلق الوسام على الرّتبة الممنوحة للشّخص بوظيفته معينة لا لأدائها الفعلي، وإنما هي وظيفة اسمية تشريفية، أما الرّتبة الموجهة للشّخص للأداء الفعلي فتسمى منصبا، وكان الأوّل والثّاني يتساويان في المزايا والحقوق [7].

أما في العرف العسكري فالوسام قطعة معدنية، ذات شكل وزخارف ورموز، تتفق والغرض الّذي يمنح من أجله، يشبك كالإبزيم. وقد يوظف في صنعه معدن البرونز أو معدن ثمين ويطلى أحياناً بالمينة الملونة، ويرصع بالأحجار الكريمة أحياناً أخرى، حسب درجة أهمّيته، وقد يعلق بشريطة من القماش، تختلف ألوانها باختلاف الوسام، وحينها يعرف بالنّوط ويجمع على أنواط، وقد يكون على شكل وشاح ينتهي برصيعة، وهو من أرفع أنواع الأوسمة.

ويتمتع حامل الوسام بميزات يحددها نظام إحداثه، وربما أجريت له جراية خاصة، مثل راتب شهري أو مكافأة سنوية وهو أمر كان معمول به في جيش الأمير عبد القادر، وكما أن للأوسمة الحديثة قواعد وأنظمة تضعها كلّ دولة لتحديد كيفية منحها وطريقة حملها؛ فقد حدّد الأمير بدوره القواعد والأنظمة الّتي تُبين كيفية منحها وأسلوب حملها.

كما وظّفت كلمة نشان وهي فارسية الأصل ولها عدة معانٍ أهمّها: العلامة، والأثر، والأمارة، والهدف، والغرض، والرّامي، والطّغراء السّلطانية، وأخيرا الوسام [8]. وقد أدرج هذا المصطلح في التّسميات العثمانية المتنقلة إلى الجزائر مع القدوم العثماني، وانتشرت بصورة كبيرة في الغرب الجزائري، حيث استعملت مرادفا للسدَّادة في ماسورة البندقة أو المدفع، ووظّفت بمعنى الرّمي والتّسديد كذلك، فقد جاء في التّنبيه الثّاني من القوانين الّتي سنها الأمير: يجب على السّيافين أن يتعلموا حرب المدفع من تعمير ونشان [9].

ثم أصبح للمصطلح معان أخرى في المنطوق الجزائري، وبخاصة المنطقة الغربية من الجزائر حيث وظّف للدلالة على المضي في طريق مستقيم فيقال: أمشي نيشان حتى بلوغ الهدف أو المكان المراد الوصول إليه، كما وظّف للتّعبير عن السّلوك السّوي المستقيم فيُقال: أمشي نيشان تسلك بخير، أي تمشي سويا على صراط مستقيم تكون بخير. أمّا لدى العثمانيين فقد استُحدث السّلطان العثماني محمود الثّاني سنة 1882م، وساما عسكريا عثمانيا أطلق عليه اسم نِشان (Nişan)، وكان على أربع درجات: الأولى والثّانية والثّالثّة والرّابعة [10].

ولما ضبط الأمير نظمه وقوانينه جعل من حقّ كلّ منتسب لجيشه النّظامي الحصول على بدلة تامّة وعلى بندقة (بندقية) إنكليزية أو فرنسية مجهزة قدر الإمكان بعالية (حربة)، كما كانوا يحملون جرابا يحتوي لفتين من الخرطوش، والبلاصكة (بارودية) تمنح لكلّ متطوع، ويتمّ هذا بحسب رتبة كلّ منخرط في الجيش، وتميزا لهذه الرّتب جعل لسائر رؤساء الأصناف المذكورة في قوانينه علامات يتميزون بها ويعرف بها الرّئيس من المرؤوس فجاءت كما يلي:

1.2 الآغة والباش خوجة

كان الآغة بمثابة رئيس العسكر المحمّدي (المشاة) يعينه الأمير ويمنح بندقة دون عالية، وبشطولتين، وسيفا مقبضه محلى بالفضّة، وغمده مصفح بالفضّة كذلك، ومثله يسلح الباش خوجة (الكاتب العام)، ويميز الآغة أربع علامات من الذّهب، اثنتان على منكبيه إحداهما مكتوب فيها. (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّدا رسول الله)، والأخرى كُتب فيها حكمة (الصّبر مفتاح الجنّة)، واثنتان في صدره على شكل القمر، فذات اليمين مكتوب فيها (محمّد) صلى الله عليه وسلم تسليما، وذات الشّمال مكتوب فيها اسم الجلالة (الله).

بينما يسلح **الباش خوجة** - كبير الكتاب أو الكاتب العام - ببندقة مجهزة بعالية، وله علامة من الفضّة على شكل القمر مكتوب فيها لقب أمير المؤمنين (ناصر الدّين)، يجعلها على ساعده الأيمن [11].

الآغـــــة: العلامات المخصصة لرئيس العسكر المحمّدي، من إعداد المؤلف

باش خـــــوجة: علامة الكاتب العام، من إعداد المؤلف

2.2 رئيس الخيالة

وهو كبيرهم تحت إمرته ألفي خيال، وعلى رأس كلّ خمسين منهم جَعل كبيرا سماه سياف الخيالة، فيصبح عددهم أربعين سيافا، وكاتبا[12].

ويُميز رئيس الخيالة علامتين من الذّهب إحداهما على منكبه الأيسر مكتوب فيها الحديث الشّريف (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة)، والأخرى يتقلّدها على صدره الأيمن مكتوب فيها (محمّد صلى الله عليه وسلم تسليما).

3.2 السّيافون

صُنّفوا من الرّكاب، مسلحون ببندقة مجهزة بعالية، وسيف، بالإضافة إلى بشطولتين عليهم شراؤها على نفقتهم الخاصة، ويحملون بلاصكة كالجنود [13]، وهم ملزمون بأن لا يركبوا يوم تعليم الحرب ولا في يوم القتال، وظيفتهم التّكفل بسلاح الجند، وهم المسؤولون عنه فلا بد لكلّ منهم أن يَعُدَّ السّلاح، ويتفقده لأنه هو الضّامن المتكفل به أي أنه تحت مسؤوليته [14].

وبينما يميز **سياف العسكر** علامتين من الفضّة على شكل السّيف يضعهما على عضديه: إحداهما، وهي اليمنى مكتوب فيها (لا أنفع من التّقى والشّجاعة). والأخرى، وهي اليسرى مكتوب فيها (ولا أضرّ من المخالفة وقلّة الطّاعة)، يميز **سياف الخيالة** علامة واحدة فقط من الفضّة يجعلها على عضده الأيسر مكتوب فيها (أيها المقاتل أحمل تغنم).

علامات رئيس الخيالة من إعداد المؤلف

4.2 كبير الصّف

يمنح رؤساء الصّف بندقة مجهزة بعالية وسيف، ويقودون الفصائل (الصّفوف) التّابعة للكتيبة [15]، وهم مسؤولون أمام السّياف على كل ما يتعلق بالنّظام، ففي كلّ يوم سبت عليهم أن يتّفقدوا حساب العسكر، وكسوته وسلاحه وآلة حربه [16]، ويُميز كبير الصّف علامة واحدة يضعها على ساعده الأيمن نفذت من الفضّة مكتوب فيها (من أطاع رئيسه واتقى مولاه نال ما يرجوه ويتمناه).

علامات رؤساء أصناف العسكر المحمّدي من إعداد المؤلف

5.2 الكاهية (نائب كبير الصّف)

كان لكلّ كبير صف مساعد أو نائب مسلح مثله مثل كلّ العسكر المحمّدي ببندقة مجهزة بعالية، ولتمييزه عن بقية العسكر جعلت له علامة من الجوخ الأحمر يضعها على ساعده الأيمن.

6.2 باش طبجي (رئيس الصّواعقية)

وهو رئيس المدفع المسؤول عن السّدنة الاثنا عشر أي العاملين على المدفع، يتميز عن أقرانه بعلامة مدفع من الفضّة مكتوب فيه قوله تعالى:﴿... وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى ...﴾ [الأنفال: 17] يجعله على ساعده الأيمن [17]. وتعد هذه جلّ العلامات الّتي ابتكرها الأمير عبد القادر لسائر رؤساء أصناف العسكر المحمّدي.

3. أنواط الشّيعة المحمّدية

جاء في لسان العرب: ناطَ الشّيءَ يَنُوطُه نَوْطاً: عَلَّقه. والنّوْطُ: مَا عُلِّق، سَمِّي بِالْمَصْدَرِ، وَانْتَاطَ بِهِ تعَلَّق. وكلُّ مَا عُلِّقَ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ نَوْط. والأَنواطُ: المَعالِيقُ [18]. أما في المصطلح العسكري فإن الأنواط هي الأوسمة المعلقة بواسطة حاشية، تتدلى على صدر الجندي صاحب الاستحقاق العسكري.

ختم الأمير عبد القادر الجزائري

في حين يقصد بشيعة الرّجل: أتباعه وأنصاره، وكلّ قومٍ اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وأشياع، وأصله من التّشيع، ومعنى الشّيعة: الجماعة الّذين يتبع بعضهم بعضا. وقيل: الشّيعة: هم الّذين يتقوى بهم الإنسان. وفي القاموس المحيط: وشيعة الرّجل بالكسر: أتباعه، وأنصاره، والفرقة على حدة، ويَقَعُ على الواحِدِ والاثْنَيْنِ والجَمْعِ. «شَيَّعَ فلَانا، إذا شجَّعَهُ وجَرَّأَهُ، يُقَال: فلانٌ يُشَيِّعُه على ذلكَ، أَي يُقَوِّيهِ» [19].

وجاء في تفسير قوله تعالى: « وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ» [الصّافات، 83] أي: وإن من شيعة نوح عليه السّلام، ومن هو على طريقته في النّبوة والرّسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدّعاء، إبراهيم الخليل عليه السّلام» [20]. وعليه، فإن الشّيعة المحمّدية تعني أن من تقلدها فإنه على طريقة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في النّبوة والرّسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدّعاء، وهو أسمى ما كان يصبو إليه الجندي المنضوي تحت لواء الأمير بأن يمشي على هدى رسوله الكريم فيكون قدوته ونصيره، ضمن ديوان العسكر المحمّدي الأحمدي تمثلا لما جاء في بردة البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم

وهي من الشّعارات الرّسمية الّتي وظّفها الأمير عند استحداث شارات ملكه، وقام بكتابتها أو نقشها في محيط ختمه الرّسمي.

وفي العصر الحديث جعل للأوسمة الرّفيعة والأنساق جوقة (Legion) تضمّ كلّ من يحملها؛ ويترأس الجوقة رأس السّلطة الّتي تمنحها، الملك أو رئيس الدّولة؛ وقد يصحب الجوقة عزف للنّشيد الوطني أو عزف موسيقى خاصّة بالجوقة، مثل «جوقة ربطة السّاق 1348» في بريطانيا (The Order of Chivalry)، و«جوقة الشّرف 1802» في فرنسا (La Légion d'honneur)، و«جوقة وسام أمية الوطني 1934» الّتي يرأسها رئيس الجمهورية العربية السّورية.

أما الأمير عبد القادر ، فقد جاء في المسألة الخامسة من وشاح الكتائب: اخترع مولانا علامات من خالصّ الذّهب والفضّة على شكل بديع سماه الشّيعة المحمّدية يعني النّيشان، ونبّه على سائر الجند أن من ظهرت شجاعته أو أبدى مزية وقت الحرب بأن أنقذ أخاه من العدو أو سبق غيره بالهجوم أو الكر أو ردَّ الهزيمة على العدو وغير ذلك من المزايا الّتي توجب له العز والاحترام عند مولانا، وثبت لديه ذلك فإنه يمنحه الشّيعة ويلبسه إياها بيديه الكريمة إن كان بين يديه، ويضرب عليه الطّنبور إعلاما بمزيته، وأما إذا كان الّذي عمل المزية بعيدا عن السّلطان، بأن يكون مع أحد الخلفاء فيثبت الخليفة خصلته الّتي يستوجب بها حمل الشّيعة، ويخبر بها السّلطان نصره الله فيأمر له بالشّيعة، وعلى حسب الخصلة تكون الشّيعة ومراتبها [21].

إضافة إلى هذا عديد المزايا الّتي خصّ بها الأمير متقلد الشّيعة، فإذا فعل العسكري مزية في القتال تجعل له الشّيعة المحمّدية على الهيئة المذكورة في المسألة الخامسة من المقدمة بشروطها، وتكون حرمة لابسها فوق ساير العسكر، وإذا فعل رئيس الصّف مزية فإنه يلبس الشّيعة المحمّدية، وتكون له حرمة فوق ساير رؤساء الصّفوف، وإذا فعل السّياف مزية فإنه يلبس الشّيعة المحمّدية، وتكون له حرمة فوق السّيافين، وإذا فعل رئيس العسكر مزية فإنه يلبس الشّيعة المحمّدية وتكون له حرمة أعلى من غيره وكذلك الخيالة ورؤساؤهم [22]، ومن بين الميزات الّتي يمكنه الحصول عليها كذلك أن يدخل دون طلب إذن مسبق وبكلّ حرية على جميع رؤسائه بما فيهم الأمير [23].

وأثناء عمليات التّرقية في الرّتب العسكرية جعل الأمير لحامل الشّيعة مزايا خاصة عند ترقيته فلا يكون الرّجل سيافا حتى يتولّى رئيس الصّف، ولا يتولى رئيس الصّف حتى يتولى كاهية، ولا يكون خليفة حتى يفي له بالخصلات المحمودات اللهم إلا إذا كان ممّن حمل الشّيعة المحمّدية يستوجب الولاية من غير تدريج إذا توفرت فيه الشّروط ومع ذلك لا تكون ولاية أحد ممن ذكر إلا بأمر السّلطان نصره الله.

ومن المزايا كذلك، أنه اشترط نصره الله ألا يكون الخيال كبيرا على العسكر (المشاة) إلا إذا كان حمل الشّيعة المحمّدية فإنه يتولى كبير العسكر إن احتيج إليه أو اختاره السّلطان لمصلحة رآها فيه [24].

كما كان من حقّ جميع الموظفين المدنيين الّذين لا ينتمون إلى ديوان العسكر الحصول على هذه الخصلة لقاء تقديمهم خدمات جليلة في الإدارة، وإدارتهم المال العام. فلتنظيم بلد في حالة من الفوضى، كنت بحاجة إلى

مكافأة مسؤولي الإدارة، وعليه فالكلّ كان بإمكانه المطالبة بالشّيعة، حتى العبد الحبشي شريطة أن يكون حرّا مسلما [25].

1.3 صفة الشّيعة المحمّدية

يقول الأمير أنه لتأجيج حماس محاربي ابتكرت وساما سميته الشّيعة، وبدلا من أن يُتقلد به على الصّدر كان يوضع على الرّأس، والشّيعة نِشان صورة يد مفتوحة الأصابع ذهبا وفضّة كتب في وسطها (ناصر الدّين) كانت تربط على الرّأس فوق الأذن اليمنى بواسطة خطاف يغرز في الجزء العلوي من عقال العمامة الّذي يربط الحايك، ويتدلى من الشّيعة خطافين صغيرين يغرزان في الجزء السّفلي من نفس العقال، ولناقلها في كلّ شهر خمسة وعشرون ريالاً ويجب احترامه على الجميع وهكذا الخيالة ورؤساؤهم [26].

والظّاهر أن الأمير استقى فكرة الشّيعة من الرّيشة العثمانية الّتي منحت للباي محمّد بن عثمان تكريما له لفتحه مدينة وهران سنة 1206هـ/ 1791م، فبعد أن عوضت معسكر مدينة مازونة وأصبحت مركزا لبايلك الغرب (1112هـ/1701م – 1207هـ/ 1792م) تأسست بها المدارس، وغدت قبلة يتوجه إليها العلماء.

وكان للباي محمّد بن عثمان الشّهير بمحمّد الكبير دورا مهمّا في هذا النّشاط العمراني طيلة إقامته بمعسكر (1194هـ/ 1779م – 1207هـ/ 1792م) حيث عمل على إنشاء المساجد، وبناء المدارس وجعلها عمارة على الطّريقة العثمانية، ثم شرع في بناء مسجده العظيم المعروف بجامع حسن والّذي تمّت فيه مبايعة الأمير عبد القادر، ليعرف فيما بعد بجامع المبايعة [27].

طريقة تقلد آغة الكتيبة للشّيعة المحمّدية
من إعداد المؤلف

وكانت هذه الأحداث قريبة العهد بالفترة الّتي ولد فيها الأمير عبد القادر 1223هـ/ 1808م وفترة شبابه فلابد أن فتح وهران وقصة حصول محمّد بن عثمان الكبير على الرّيشة بقيت ملحمة وطنية وحديثا يفتخر ويترنم

به العام والخاص طيلة جيله، بخاصة وأن الحِلية شيء لم يكن معهودا من قبل في هذه الأقطار، ولم يسبقه بها في هذا المغرب أحد من ذوي الأخطار، حيث خرج بها الباي يجوب شوارع مدينته معسكر يوم الخميس الثّالثّ عشر من ربيع الأول 1206هـ/ 1791م لابسا لها دلالة على تخصيصه بسائر أنواع الفضل، واختصاصه بجملة المحاد[28]

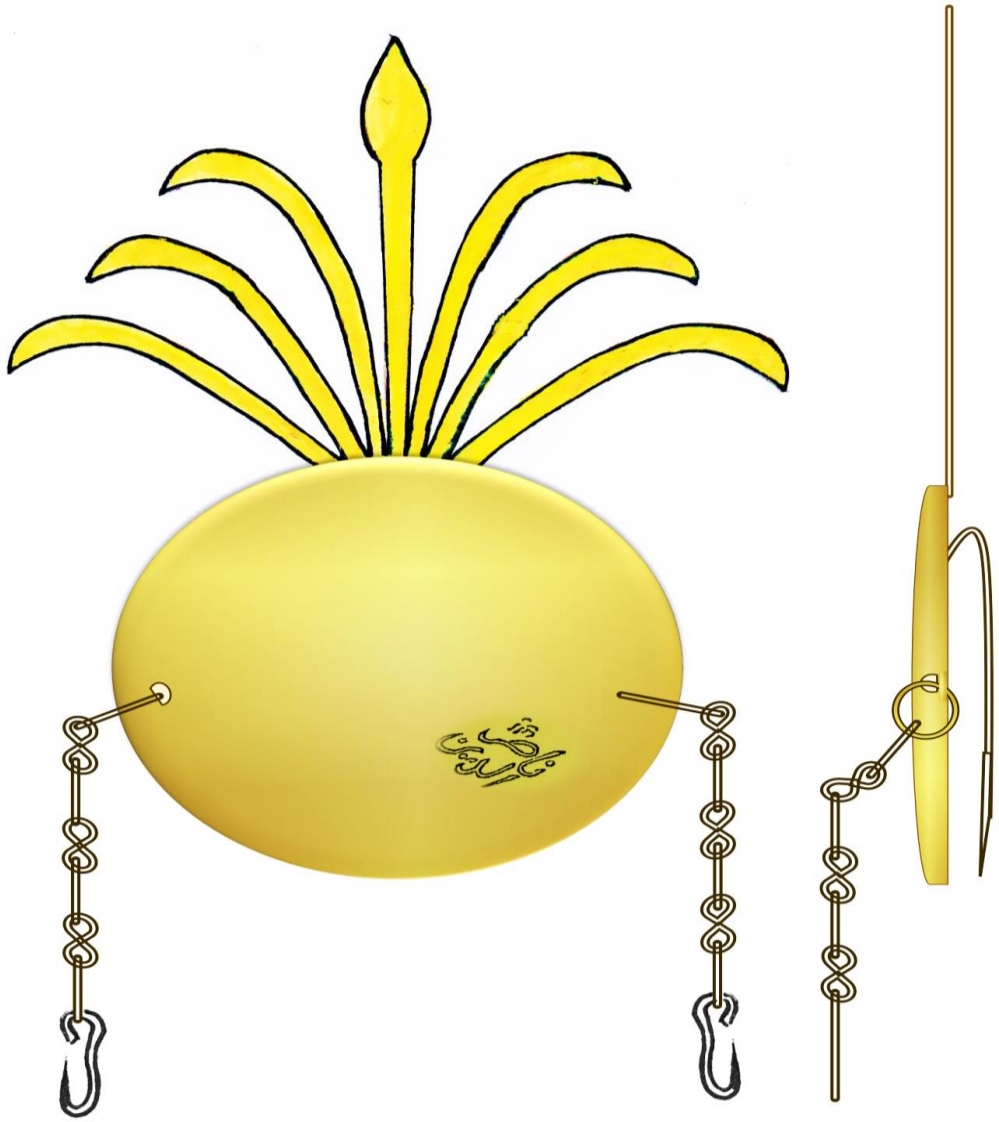

الشيعة المحمّدية الخاصة بآغة الكتيبة

تصور للشّيعة من عمل المؤلف بحسب المصادر والوثائق التاريخية

وريشته حلية من الذّهب على صفة الكف والأصابع مرصعة بالحجارة النّفيسة يقول لها العوام الرّيشة ... لأن السّلطان ينعم بها على من فتح من أمرائه أو وزرائه بلدا من بلد الكفار فيجعلها في عمامته تنويها بقدره وإظهارا

لعلاه، ليستدل بها على أنه من المقدمين لديه والمقربين إليه، فهي علامة له ... وتسمى هذه الحلية باللسان التّركي **جَلَنْك** بجيم أعجمية ومعناها طرة مزدانة بالجواهر [29].

وإن كانت هيئة الشّيعة المحمّدية على صفة الكف والأصابع إلا أن الأمير تصرف في شكلّها وجعلها على ست درجات مختلفة بحسب الأصابع المكونة لها، وقدر سعر كلّ أصبع بحسب بلامار بزيادة دورو واحد (حوالي 5 فرنك فرنسي) سنويا، تدرج في راتب المتحصل عليها. ربما كان ذلك قليل ولكنه كثير بالنّسبة لي، لذا فقد دفعت هذه الزيادات أول الأمر ثم لما شحت مداخيلي إلى أقصاها عدلت عن ذلك [30].

وتفرد كلّ من (Emile Bigonet) الّذي حاول أن يستنسخ صورة طبق الأصل عن الشّيعة، وبلامار صاحب كتاب عبد القادر حياته السّياسية والعسكرية، بتقديم التّفصيل الوصفي للشّيعة المحمّدية، محددا لأشكالها والمواد الموظفة في صنعها، متدرجا في ذلك بحسب عدد الأصابع المشكلة للشّيعة والّتي تقابلها رتبة عسكرية بعينها في الجيش صنفت من أعلى رتبة إلى أدنى، رغم أن الشّيعة كان بإمكان غير المنضوين تحت الجيش الحصول عليها[31]. وقد وظفنا هذه الوثائق التّاريخية في وضع تصور للشّيعة المحمّدية وجعلنا تصنيفاتها كما يلي:

أ-المستوى الأول:

وهي شيعة ذهبية قوامها قرص تعلوه ثمانية أصابع نفذت بكاملها من الذّهب، خص بها رئيس الكتائب المحمّدية أو آغة الخيالة (آغة العسكر)، الّذي يتحكم في مجموع الكتائب المقدرة بثمانية، فيكون بذلك تحت إمرته ثمانية من آغوات الكتائب، ويساعده في أداء مهامه الكاتب العام باش خوجة، والشّاوش (الجاويش)، وباشا العرب أو معلم الحرب، وحامل الرّاية (سنجق دار)، وقائد الجوق (باش طرمبيطة)، وأخيرا رئيس الطّبل (باش طمبورجي).

ب-المستوى الثّاني:

وهي شيعة ذهبية قوامها قرص تعلوه سبعة أصابع نفذت بكاملها من الذّهب، خص بها آغة الكتيبة أو قائد الألف، والّذي يترأس عشرة سرايا، قوام كلّ سرية مئة جندي.

ج-المستوى الثّالثّ:

وهي شيعة ذهبية كذلك قوامها قرص تعلوه ستّة أصابع نفّذت كلّها من الذّهب، خص بها الباش خوجة أو كاتب الألف.

د-المستوى الرّابع:

وهي شيعة نفذت من الفضّة قوامها قرص فضي تعلوه خمسة أصابع حيث خصّ سياف السّرية (سياف المائة) بشيعة قرصها من الفضّة وخمسة أصابع نفذ ثلاثة منها من الذّهب، واثنان من الفضّة، في حين خصّ خوجة السّرية (خوجة المائة) بشيعة قرصها من الفضية وخمسة أصابع نفذ اثنان منها من الذّهب، وثلاثة من الفضّة، وكانت كلّ سرية مشكلة من ثلاثة أخبية (فصائل أو صفوف)، على رأس كلّ صف كبير الصّف مما يجعل عددهم ثلاثة يساعدهم ثلاثة من النّواب (الكهاة)، وقارعي طبل، وتسعة من كبير العشرة، وطباخين.

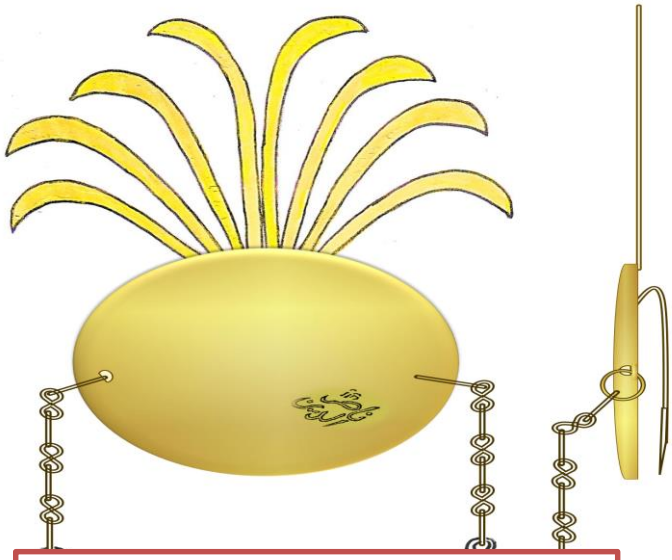

الشيعة المحمّدية لآغة الخيالة

(يترأس ثمانية كتائب عسكرية)

الشيعة المحمّدية لآغة الكتيبة

(يترأس كتيبة قوامها ألف جندي)

الشيعة المحمّدية لباش خوجة

(الكاتب العام – كاتب الألف)

هـ- المستوى الخامس:

وهي شيعة فضية قوامها قرص من الفضّة تعلوه أربعة أصابع، اثنان من الذّهب واثنان من الفضّة، خص بها كبير الصّف (كبير الفصيلة)، وكلّ صف يحوي ثلاثة وثلاثين جنديا، وقسم كلّ صف بدوره إلى ثلاثة حضائر وكلّ حضيرة تحوي عشرة من الجنود على رأسهم كبير العشرة وهي أصغر وحدة عسكرية.

و- المستوى السّادس:

وهي شيعة فضية قوامها قرص من الفضّة تعلوه ثلاثة أصابع نفذ أحدهما من الذّهب والآخران من الفضّة، خص بها النّائب أو المساعد المعروف بالكاهية، تميزا له عن بقية الجنود.

ذكرت بعض المصادر الفرنسية بصورة خاصة أن الشّيعة المحمّدية نُفِّذت من الفضّة أو من الفضّة المُذهَّبة وأنه لا وجود لخالصّ الذّهب كما دُوِّن في الوشاح، والحقيقة أن الأمير وظّف الفضّة المعروفة باللّجين والصّولجة كصفة لها بالجودة، بخاصّة أنها ذات لون فضي بهيج لا تعتريه العتمة غالبا ما تمزج بالنّحاس زيادة في صلابتها [32]. ووظّف الصّفر بديل الذّهب في الحضارة الإسلامية، والمعروف بالنّحاس الأبيض وذلك بالشّبه الأولي لصفرته، وهو مزيج من نحاس ورصاص يصير لونه كالشّبه (The Brass)، وصفرته ضاربة للون الذّهب ثابتة لا تحول ولا تزول تحت أي مؤثر.

لذلك كان مزج الصّفر مزاجا حقيقيا لأنهما بعد الاتحاد لا يتميزان بحيلة يعودان بها إلى صفة الانفراد، وإنما يبقيان معاً ما بقيا ويفسدان معا إذا فسدا [33]، أي أنهما بعد الاتحاد تصبح ألوانهما ثابتة كالذّهب، ولذلك وظّفها المسلمون منذ عهد الحجاج بن يوسف الثّقفي تعويضا للذّهب المحرّم شرعا، ولم يكن هذا الأمر ليخفى على الأمير عبد القادر الفقيه العالم.

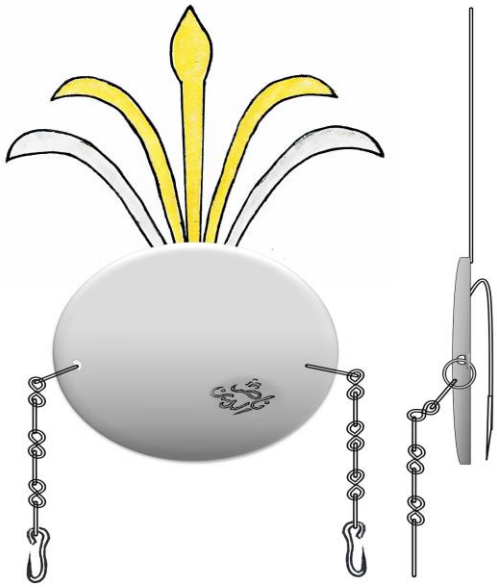

الشيعة المحمّدية لسياف السرية
(يترأس سرية قوامها مئة جندي)

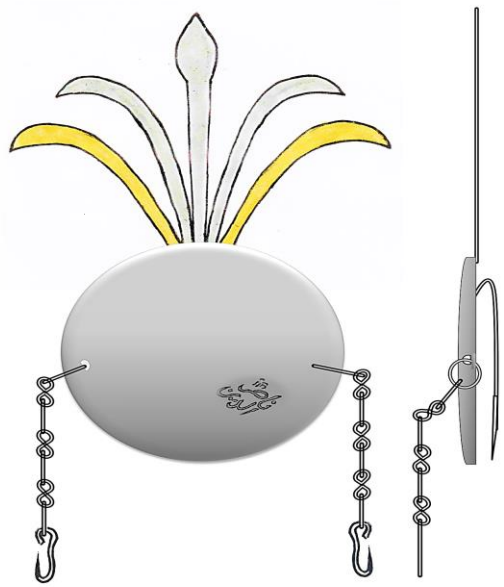

الشيعة المحمّدية لخوجة السرية
(خوجة المئة أو كاتب المئة)

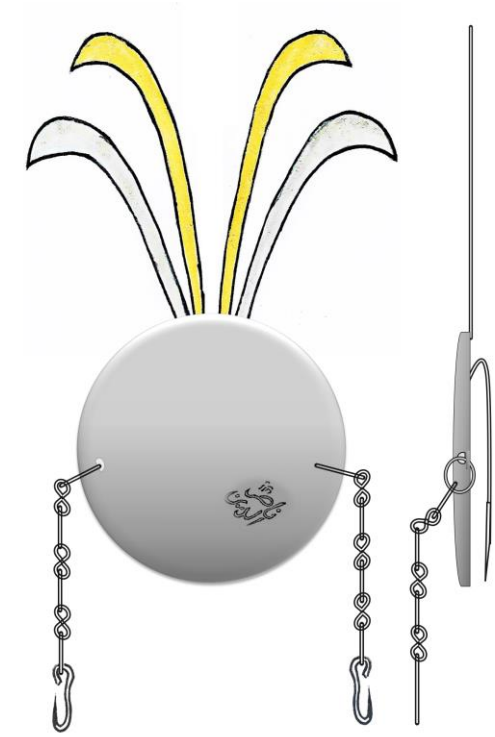

الشيعة المحمّدية لكبير الصّف
(يترأس كل خباء يحوي فصيلة قوامها 33 جندي)

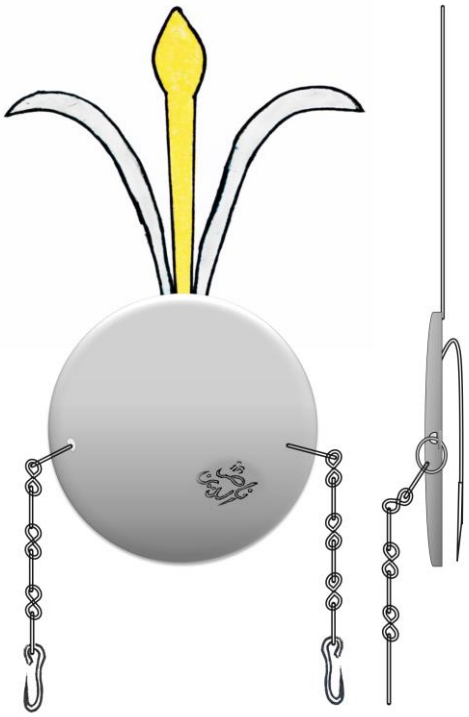

الشيعة المحمّدية للكاهية
(النّائب أو المساعد)

خاتمة

ليس من العجب في شيء أن يحصل تدريجيا شخص موهوب بالطّبيعة وجاد في فنّ الثّقافة العصامية والإصلاح والتّطوير الذّاتي على تفوق عظيم على كلّ من حوله، وأن يحظى بكامل الاحترام والثّقة والحبّ وسط كلّ من هم دونه أو مثله، وأن يجد التّقدير حتى من قِبَلِ أعدائه، فقد عرف الأمير كيف يسمو بنفسه في كلّ تواضع ليصبح قائدا عسكريا محنكا، قادراً على جمع الكلمة، وفقيها عارفا بأحكام الشّرع ملتزما بتطبيق الشّريعة فكان بطل العقيدة والوطنية.

كما استطاع قلب المفاهيم السّائدة وسط نبلاء مجتمعه من مرابطين وأجواد وَسَمَى بهمَمِهم من التّهور والعنجهية والنّهب إلى مواضع الفروسية والعزِّ والشّرف، وحَوَّلَ طموح المرابطين المُقَنَّعِ إلى طموح مشروع نحو مراتب الجاه بالذّود عن حياض الوطن والاستشهاد في سبيل الله في مواقع الشّرف. فكان بوصلة بني جلدته ساعة العُسْرَةِ حينما حَلَّتِ الفوضى بدل النّظام، وسادَ الظّلم بدلا عن العدل، وحل الخوف محلَّ الأمن. ملماً بمنجزات ومجريات عصره، مطَّلعا على منجزات الحضارة في الدّول والأمم الأخرى.

وبابتكاراته الميدانية وأفعاله المشرِّفة أراد الأمير أن يمضي بعيدا في تكوين الأسرة العسكرية الّتي تُعَدُّ اللَّبنَة الأُولى في المجتمع العسكري الجزائري المقاوم للاستعمار، وبِبَذْرِهِ لأدبيَّات وأخلاقيَّات تُثْرِي التّقاليد العسكرية وتُطَعِّمُها، وإرساء لسلوكيات جديدة قائمة على الولاء والبراء للوطن، وعقيدة عسكرية راسخة قَوَامُهاَ العقيدة الدّينية، ومجموع الأعراف الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية والعلمية النّابعة عن حضارة مجتمع تسود رَوابِطَهُ الاجتماعية علاقات الاحترام المتبادل بين جميع أفراده كيفما كانت درجاتهم العسكرية.

وإن كانت العلامات والنّياشين غالبا ما تدل على الرّتب العسكرية الّتي نالها المحارب طوال مساره المهني وحياته الحرفية في الجيش، فإن الأنواط تعكس خِصَالَهُ ومَيْزَاتِهِ العسكرية، ومجموع التّكريمات والاستحقاقات الدّالة على النّبل والشّرف والمجد العسكري الّذي ناله هذا المحارب لقاء شجاعته وإقدامه وبسالتّه في ميادين القتال، وبذلك حُقَّ للأمير أن يكون الفارس الجَوَادْ، وَوِسامَ عصرهِ، وأَيْقُونَةَ الأُمَّة الجزائرية.

الهوامش:

[1]) صلاح الدّين أبوبكر الزيداني، **مجلة المسلح، أدبيات التقاليد العسكرية ... الأوسمة والأنواط العسكرية ... شرف وفخر وتميز**، موقع: https://www.almusallh.ly/ar/thoughts/3814-، نشر بتاريخ 2022/10/16، واطلع عليه بتاريخ 2023/11/03.

[2]) محمّد بن عبد القادر الجزائري (الأمير)، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ط 01، ج 01، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص 103.

[3]) شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم: أبو القاسم سعد الله، الدّار التونسية للنشر، تونس 1974، ص 41.

[4]) دينيزن (أ. ف)، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر 1999، ص 12.

[5]) شعر السيد الحاج عبد القادر بن محي الدّين والحكم الشرعي للعسكر المحمّدي، **مخطوط وشاح الكتائب منشور بخط قدور بن رويلة**، هاشيت وشريكه، باريس-الجزائر 1848، ورقة 1.

ANONYME, (1886**)**, L'Emir El Hadj Abd-El-Kader, Règlements Militaires Appendice Texte et Traduction Nouvelle Accompagnée de Note, In Bulletin de Correspondance Africaine, Fasc. I, II, Association Ouvrière, P. Fontana et C[ie], Alger, p 14.

[6]) جمال الدّين ابن منظور (ت 711ه)، **لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين**، ط3، دار صادر، ج 12، بيروت 1414ه، ص ص 635 -637.

[7]) سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية**، مراجعة: عبد الرّزاق محمّد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثّالثة (43)، الرّياض 1421ه/ 2000م، ص 227.

[8]) محمّد علي الأنسي، **قاموس اللغة العثمانية (المسمى) الدّراري اللامعات في منتخبات اللغات**، مطبعة جريدة بيروت، بيروت 1318، ص 520.

[9]) مخطوط وشاح الكتائب، ورقة 11. وانظر: Bull. corr. Afr. p 17.

[10]) سهيل صابان، المرجع السابق، ص 225.

[11] (Bull. Corr. Afr., p 16. Et de LACROIX, **Histoire Privée et Politique d'Abd-El-Kader**, Paris 1845, p 200.

[12] (Bull. Corr. Afr, p 14.

[13] (de LACROIX، Op. Cit, pp 199-200.

[14]) محمّد بن عبد القادر الجزائري (الأمير)، المصدر السابق، ج1، ص 130.

[15] (de LACROIX، Op. Cit, p 200.

[16] (Bull. Corr. Afr., p 24.

[17]) محمّد بن عبد القادر الجزائري (الأمير)، المصدر السابق، ج1، ص 122. وانظر: Bull. Corr. Afr., p16.

[18]) جمال الدّين ابن منظور (ت 711ه)، المرجع السابق، ج 7، ص 418.

[19]) محمّد علي طه الدّرة، **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، ط1، دار ابن كثير، ج8، دمشق 2009، ص ص 49-50، وكذلك: الفيروز آبادى، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرّسالة، إشراف: محمّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت – لبنان 2005، ص 735. ومحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ج21، ص 308.

[20]) عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرّسالة، 2000، ص 705.

[21]) مخطوط وشاح الكتائب، ورقة 12 – 13، وانظر أيضا: Bull. Corr. Afri., pp 17-18.، ويجعلها الأمير محمّد في تحفته المسألة الرّابع، أنظر : **تحفة الزائر**، ص 123.

[22]) مخطوط وشاح الكتائب، ورقة 43. و Bull. Corr. Afri., p 26.

[23] (Bellemare (Alex.), **Abd-el-Kader, Sa Vie Politique et Militaire**, Hachette et [cie], Paris 1863, p 236.

[24]) مخطوط وشاح الكتائب، ورقة 17. وكذلك: محمّد بن عبد القادر الجزائري (الأمير)، المصدر السابق، ج1، ص 124. و Bull. Corr. Afri., P 19.،

[25] (Bellemare (Alex.), Op. Cit, p 236.

[26]) محمّد بن عبد القادر الجزائري (الأمير)، المصدر السابق، ج1، ص ص 131 – 132. و Bellemare (Alex.), Op. Cit, p 236.

[27]) ابن سحنون، **الثّغر الجماني في ابتسام الثّغر الوهراني**، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص ص 127 – 128.

[28]) المصدر نفسه، ص ص 425 -426.

[29]) المصدر نفسه، ص 424.

- **جَلَنْك:** طرة مزدانة بالجواهر. ريشة، محمّد علي الأنسي، **الدّراري اللامعات في منتخبات اللغات**، مطبعة جريدة بيروت، بيروت 1318، ص 213.

[30] (Bellemare (Alex.), Op. Cit, p 236.

[31] (Bull. Corr. Afri., p 39 ; Bellemare (Alex.), Op. Cit, p236.

[32]) بدر الدّين شعباني، **المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني، دراسة تقنية وفنية مقارنة (10 – 13 هـ/ 16 – 19م)**، معهد الآثار، جامعة الجزائر (2009 – 2010)، ص 119، (رسالة غير منشورة).

[33]) بدر الدّين شعباني، المرجع نفسه، ص 124.